أول دعامة في بناء الاستقلال:

إن تاريخ إنشاء الجامعة المصرية فصل أساسي في تاريخ مصر الحديثة، ومهما كتبنا فما هي إلا لمحات عابرة لجامعة عامرة، وخير تقديم لمئوية الجامعة المصرية ما كتبه شيخ المؤرخين المصريين الأستاذ محمد شفيق غربال بك في سبتمبر سنة ١٩٤٩م: "إن العبرة في تأريخ الجامعات أن ينوه المؤرخ بالحركات التي نشأت الجامعات استجابة لها، فكانت الجامعات من جهة ثمرة من ثمرات اتجاه جديد من اتجاهات العقل، وكانت من جهة أخرى عاملا – أو قل العامل الأساسي – لدعم ذلك الاتجاه، فمن الجامعات ما نشأ ثمرة لخدمة التوفيق بين النصرانية والأرسطاطاليسية، أو تأمين الإصلاح الديني البروتستانتي أو الكاثوليكي، أو نتيجة الاهتمام بدراسة الشرائع الرومانية، أو القانون الكنسي، أو الطب نقلا عن العرب، أو الدراسات الإنسانية التي أثمرتها النهضة الأوربية، أو العلوم الطبيعية، كما في النهضة الحديثة، وهكذا.. وقد عرفنا في تاريخنا الإسلامي نشأة الجامعات لدعم مذهب ديني، كالأزهر الفاطمي، وكمدارس الأيوبيين، أو لتطبيق مناهج علمية جديدة، كما هي الحال في المدارس التي أنشأها نظام الملك ببغداد وغيرها، وليس معنى ما ذهبنا إليه، أن الجامعات تبقى على ما نشأت عليه، فشتان بين جامعة باريس في القرن الثالث عشر، وجامعة باريس في القرن العشرين. وإن هذا التطور لهو في ذاته مما يضيف إلى شئون تاريخ الجامعات ما يجعله حقيقة أروع فصول التاريخ الإنساني".

"وإذا قسنا الأمور بهذا المقياس، أيحق لنا أن نؤرخ نشأة الجامعة المصرية؟ والجواب نعم قاطعة. فإنشاؤها كان ثورة على نظام فرض على المصريين فرضا، على نظام قضى عليهم بأن لا حق لهم في طلب العلم، إلا مغتربين عن بلادهم، وحكم بأن أبوابا من المعرفة يجب أن تظل موصدة في هذه البلاد، ورسم بأن هناك مستوى مقدراً من العلوم يجب ألا يتجاوزوه، فهم ليسوا كسائر الناس، وليست بلادهم كسائر البلاد، بل هم دون ما كان عليه آباؤهم الأقربون، وهذا النظام المفروض جزء في الواقع من العبودية المفروضة عليهم فرضاً. وكان إنشاء الجامعة المصرية، أول ضربة وجهت لتقويضه، وأول حجر في بناء الاستقلال".

"ويكتب المصريون في تاريخ الحركة الاستقلالية، ويبدءونها بالثورة في سنة ١٩١٩م، وهم في هذا يغفلون عن مبدئها الحقيقي: إنشاء الجامعة، وينوهون بما قدمه الزعماء المصريون للحركة الاستقلالية، وينسون أن بدء جهادهم للاستقلال كان إنشاء الجامعة المصرية".

إني أدعو أبناءنا من المصريين في الجامعة وخارجها أن يتدبروا جهاد جيل الرواد الذين أنشأوا الجامعة المصرية، وأن يذكروهم بالشكر والتقدير والدعاء على ما قدموه لبلادهم وأبنائهم وأحفادهم، إن هذا

العمل رسالة حب وتقدير ووفاء لقادة الفكر والمواطنين الشرفاء والأساتذة الأجلاء في العيد المئوي للجامعة المصرية، فلا حاضر لأمة تجهل ماضي أسلافها، ولا مستقبل لشعب ينكر فضل علمائه وفضائل أبنائه.

obeikandl.com